

# حرف الجندب

## نلهم شعراء اليابان

بتم: حرفة الباب

للإنسان ، فلقد خلق لا ليفكر فقط  
وانما ليفني ايضا ، والا فقد طريقه  
الى الاستمتاع والامتاع بسحر الطبيعة  
والجمال البشري واستلهم اجمل  
المعاني وانبل القيم ولما اصبح ثمة  
مبرر كاف لتمييزه عن سائر الكائنات  
ولم يكن ماجنا ذلك الشاعر القديم  
الذي قال :

خلقت الجمال لنا فنتنة

وقلت لنا يا عبادي اتقون

وانت جميل تحب الجمال

فكيف عبادك لا يعشقون؟

فهؤلاء الكبار كانوا ينفذون الى  
ما وراء الجمال دون ان يصلوا الى  
حد ابتداء نظرية . فالجمال عندهم  
مظهر ومخير معا وتصوير روح الجمال  
هو سر خلود قصائدهم وليس الجمال  
هو الملامح وتناسق التركيب وحدهما ،  
هو حسن الملامح وتناسق التركيب  
وحدهما ، بل هو كامن في كل مظهر  
للحياة بل للوجود وهو الاحساس  
به .

فاذا كان الجندب ، ذلك الضرب  
من الجراد ، قد الهم بعض شعراء  
اليابان قصائد من اعذب الشعر  
واجمله ، فذلك لانه لا اللون ولاجلال  
التكوين في اي صورة ركبت هما  
وحدهما مصدر وحيهم ، وانما هم  
يستقون من الروح التي تكمن خلف  
الاشياء بله الاحياء مهما دقت او  
عظمت ، بل ان دقة الحجم عندهم  
اكثر اجتذابا واشد اثرا لانها تبرز قوة  
الوجود في اجل مظاهرها .

والجندب كائن غريب الشكل والصوت  
والحركة ، لا هو بالطائر البهيج ولا  
هو بالحيثرة المنفرة المنظر . ولعل  
هذا التفرد هو الذي استوقف  
شعراء اليابان عنده ، واستوقفهم  
ايضا انه سيد في موقعه على صفر  
جرمه ، يحسونه معتدا بشخصه ،  
متربعا على مملكته كأنها هو الحاكم  
المطلق . وماذا يهم رأي الاطيار  
والازهار والفرشات الجميلة فيه بل  
ماذا يهم رأي صاحب البستان او  
المزرعة نفسه ؟ حسب الجندب ما

كلاهما يتأهل النفس والكون ، ولكن  
الاول يتأملهما بحسه المشبوب وشعوره  
الباطن وفكره السابح فكانه يحلم .  
اما الثاني فيتأملهما بعقله الصارم  
ومنطقه الدقيق . كلاهما يحل ويركب  
ولكن اسلوبهما يختلف ونتائجهما  
بداية يختلف ، فيأتي الشعر غناء  
عفويا وتصويرا بديعا وتغدو الفلسفة  
ضبطا وتجريدا . وليس معنى ذلك ان  
لكل من الشاعر والفيلسوف عالما  
يختلف عن الآخر . فان مسرح الكون  
العريض هو عالمها بما يحتوي عليه  
من عناصر تتمثل في الطبيعة وفي  
الانسان وسائر الكائنات . وقضية  
الخلق والمصير او الميلاد والموت هي  
شغلها الشاغل . والجبر والاختيار  
والحق والباطل ، والجمال والقيح ،  
كلها محور همومهم . فهي موضوع  
الفيلسوف الذي يأخذ بمجامع لبه ،  
وهي تجربة الشاعر التي يعانيتها .

وقد يتوحد الفيلسوف والشاعر في  
نفس واحدة وان غلبت احدى  
التزعتين على الاخرى ، وذلك اذا  
كان الشاعر صاحب مذهب او نظرية  
فلسفية . ومع ذلك فان كثيرا من  
شعراء الانسانية الكبار لم يكونوا  
فلاسفة قط . ولعل هذا كان خيرا

ليس بالجمال وحده يحيا الشاعر  
وانما بالحكمة ايضا .. بل ان الشاعر  
العالمي ينفذ الى ما وراء ظواهر  
الجمال من اسرار الخلق وحكمة  
الحياة والكفاح حتى الموت .. ومن  
ثم فان شعراء المفان الحسية العابرة  
لا يعيشون طويلا في قلب البشرية ،  
فالشراة تختفي والذي يبقى هو  
النور .. يبقى الشاعر الضرب ابو  
العلاء المعري ، والمتنبي ، وابن الرومي  
ودانتي ، ومilton ، والفردوسي ، وحافظ  
الشيرازي ، وشوقي ، وايلوار ،  
وشكسبير ، وارجون ، وبرخت ،  
ولوركا وناظم حكمت ، وبابلونيرودا  
.. يبقى شعراء اسيا وامريقيا الذين  
استوحوا فنهم من معاناة الانسان  
ومن لحم الارض .. ويبقى الفكر  
اسمى معطيات الخالق الاعظم .

وقد كنت ارى دائما ان اعظم  
الشعراء هم الذين تمتزج في  
انتاجهم الاحساس المرهفة والفكرة  
العبيقة امتزاجا عضويا ، وان مكانتهم  
تتفاوت على قدر موهبتهم وقدرتهم  
على هذا المزج . ولا اعنى بالفكرة  
العبيقة ما تصلح مدخلا لمذهب  
فلسفي .. فالشاعر يختلف عن  
الفيلسوف من حيث الرؤية والاداة ..

يشعر به من سعادة في اعماقه ،  
فان له لاعباتا ايضا ، وان له لعالمه  
الذي لا يشاركه فيه احد .

واذا كانت صواحب الريش القزحي  
والانغام الشجية والاعطار الفاغمة  
والاجنحة الاثيرة تزهو بما ملكت ،  
ويأخذها الغرور ، فانه ليسخر منها  
اذ يعني كما يقول « اونيتسورا » ..  
انه يعني للنهار .. ولكن الشاعر  
يجار في فهم الجندب ، هذا المخلوق  
الواهي ، والدخول الى عالمه العجيب  
وازيه الغريب .

ومن ثم يتساءل عما اذا كان هذا  
الصوت دموعا .. هذا الصوت  
الصغير الذي ملأ الكون كله حوله :

### الجندب الصغير الساخر

بيكي طيلة هذا

التهار الضاحي

أم يضحك ؟

اما الشاعر « ايسا » فانه لا يسأل  
احدا ولا حتى نفسه لانه يعلم ..  
أوليس بصديق ؟ .. بلى ان الجندب  
هو ولده البار ، اليس يتبعه كظله ،  
متواضعا ، رقيقا ، أمينا لا يسأله  
اجرا ولا اعترافا بالجميل ، انه يبدد  
بهرجه السكون المخيم من حول الشاعر  
ويؤنس بصوته وحدته ، وهو الذي  
يخلفه في بيته اذا غاب :

كن الان ولدا طيبا

واحرص

الدار

يا صغيري الجندب

وهو صديقه ايضا .. وحارسه في  
الحياة .. وفي المات ..

ايها الجندب الصديق

هل لك ان تكون

حارسا

لقبري الصغير ؟

لا حزن يكره صفو « ايسا » فيها  
هو الجندب الصغير .. والقبر  
الصغير .. كل شيء بقدر مقدور ..  
فمن اين يأتي الحزن الى الشاعر ؟  
فاذا حزن الشاعر فمات على الجندب  
تلسع الشمس المحرقة اهابه الرقيق  
وتطبق على انفاسه الواهنة ، فيخنق

صوته ، وينظر اليه « باشو » واجما  
ملتاعا :

ياله من جو مطبق !

حتى الجنادب

أخذت غناها

الصخور المحرقة

ويظل الجندب يذبل جناحاه فسي  
رمضاء الهجير .. وهو الذي لا ينسى  
يجالد من اجل ان يتنفس لانه مثل  
الشاعر يحب الحياة .. ياويل « انون »  
يحترق الجندب الصغير على عينيه ولا  
يستطيع ان يمد له يد الخلاص ..  
يعني الصديق الامين رويدا رويدا ،  
صغيرا ، وحيدا ، ولا يملك حتى ان  
يشكو .. ما اقصر الحياة ، وما اقسى  
الموت .. آه يا ولدي الجندب .

الجندب الوحيد

بصفر .. بصفر .. بصفر

ولا يزال ..

شمعتي تذبل وتموت

واذا كان الجندب صديقا لاونيتسورا  
وايسا ، فان النحل مصدر احياء  
لشعراء كثيرين فسي اليابان .  
وقصيدة : الى يعسوب (1) لناكاهارا  
نشويا هي اجمل قصائد هذا الشاعر  
الياباني الذي ولد في مطلع هذا  
القرن ومات صغيرا ، وكان مثله الاعلى  
سلوكا وفنا الشاعر الفرنسي الرمزي  
« ريبو » فنشأ بوهيبيا عرييدا ،  
ولكنه ترك شعرا غير عرييد ، شعرا  
جميلا :

« الى يعسوب »

في سماء خريف تامة الصفاء

يحلق يعسوب احمر ،

وفي الحقل الخالي وقتت

نطويني شمس خافتة

سحابة دخان مصنع بعيد

تقابل عيني ، وقد اغشاهما ضوء

المساء

اتنهد بعيق ،

واركع لالتقاط حصة

عندما احس ان برودة الحصى

يزيلها دفء يدي

اتركها تسقط ، فتزلق

على الحشيش الذي ادفاته الشمس

الحشائش التي انزلت عليها  
تنحني نحو الارض ، بشكل ملحوظ  
وسحابة دخان المصنع على البعد  
تقابل عيني ، اللتين اعشاهما ضوء  
المساء .

ان النعب والياس اللذين يغلفان  
هذه القصيدة ذات الرؤى والصور  
الخارجية والنفسية الرائعة يصدران  
عن الايقاع القلق الذي اتى به  
القرن العشرون وعن حياة صاحبها  
الشاردة الضائعة . اما يعسوب او  
النحل عامة عندغير « ناكاهارا تشويا »  
من الشعراء فهو محرك للاحساس  
بالجمال والسلام والبهجة والحب .  
يقول « باشو » مخاطبا طائر السنونو  
في نبرة من الرومانسية الحاملة التي  
سادت الشعر الياباني في القرن التاسع  
عشر :

ايها السنونو المحلق في الفجر

رفقا بزميلاتي

التحلات

بين الزهور

بل ان « ريبوتو » و « بوسون »  
يستوحيان الذي هو أدنى من  
اليعاسيب او التحلات او الجنادب ..  
يستوحيان الضفادع في المستنقعات  
شعرا صافيا عذبا كجياه الجداول ..  
اما « ريبوتو » فانه يسمع الى صمتها  
فيحول صدها في نفسه الى نغم  
رفاف .

شخص ما يمشي

فوق الجسر

الخشبي .. اصغ

الى صمت الضفادع العميق

واما « بوسون » فانه يتأمل  
صوتها .. نقيتها ينفذ في اهاب الليل،  
والوجود مستغرق في السكون  
العميق :

واقفا ساكنا في العتمة

اسمع .. في البعيد

البعيد

اتشودة الضفادع !

ولكن الضفادع القابعة تحست  
سطح المستنقعات تثير نغمة كيكاو  
او شفقتة ، .. فهو يكره لها الظلمة ،

# صفحات

## عاشق

لا شيء الا ان نعيش ونتهدد ،  
ناكلنا هذه النار او نلك النار .  
( ت.س. البوت )



حسين  
جليل

وينمى عليها هذا الرضوخ الكئيب :-

أخرجي ! أخرجي

من المستنقعات أيتها الضفادع

واجهي العتمة

وتألمي النجوم

وتسرعى حركة الضفدع المفاجئة  
في بحيرة السكون عيني الشاعسر  
« باشو » كما لم تسرع أحدا ..  
انها حركة أتوى من الصوت ، ان  
الضفدع بها تؤكد وجودها في قلب  
الطبيعة التي تهوج بملايين  
الكائنات :

بحيرة عجوز داكنة قاتمة

فجأة وبلا توقع

تسفدع

تفطس ويتناثر الماء

ويبلغ عشق شعراء اليابان في  
القرن الماضي للطبيعة الى درجة  
الهيام بكل ذرة فيها والتعاطف مع  
كل كائن يتنافس فيها حتى الحشرات  
.. يقول « برسون » :

قمر لامع في الخريف

وفي ظل

كل ورقة عشب

هسهسة حشرة

انه ليس هسهسة حشرة .. انه  
موسيقى لمن القى السمع .. أما  
اولئك الذين وضعت أفعال على  
قلوبهم .. فلا ضير ، فان العالم لن  
يخسر كثيرا في رأي « ايسا » :

حتى من أزيز الحشرات

يستنبط البعض

الموسيقى

والبعض - وآسفاه - في أذانهم

وقر (٢)

حسن فتح الباب

- القاهرة -

(١) الميسوب ملك النحل

(٢) النصوص الشعرية التي اخترتها في هذا

المقال مستقاه من كتاب رؤية شرقية

ترجمة الاستاذ عدنان بفجاني ومن

دراسة بعنوان الشعر الياباني الحديث

يقلم دونالدكين ترجمة الدكتورة صفاء

الشاطر منشورة بمجلة « عالم الفكر »

بالكويت العدد الثاني ١٩٧٢ .